ممر الزيزفون

إلى روح
ايزادورا دنكان

حسب الشيخ جعفر

في ممرّ الظلال الطويل
(كان يوماً طريقاً إلى الدير،
تعلو الكنيسةُ سفحاً على جانبٍ منهُ،
والكرمُ يعلو السفوحَ الأخر!)
في الممّر إلى بُرْجِ صومعةٍ
لم يزَل يتخايلُ في حُمرةِ الأفقِ
بين أعالي الشجر،

مرةً في الممرّ الطويل
أوقفتني امرأة
تتبسّمُ لي في ارتياح
وتباعدُ عن وجهها باليدين النقابَ
الظليل
وهي تسألني أيَّ قرشٍ مُتاح!

(منذ قرونٍ طوال
لم تعُدْها هنا امرأةٌ ترتدي
مثلَ هذي العباءةِ في الريفِ أو في
المدينةِ
أو في الجبال!
ربما في المسارح أو بين أيدي
العروش!)

وانحنتْ تمنحُ القرشَ شحاذةً طفلةً
تتلّقى القروش
مثلما يتلقى الهدايا الملوك

وانثنتْ متمهّلةً، في الممراتِ، بين
التلال
في اتجاه المدافنِ أو في اتجاه
الظلال!

واشحتُ ارتياباً،
واغذذتُ خطوي إلى البرجِ والصومعه
أتصفّحُ فيها الأوابد أو أتملّى النعوش

وهنا انزاحَ عنها التضبّبُ والظلُّ في
هيأةٍ
بين هذي النقوش
تتبسّمُ لي في ارتياح
وتباعدُ عن وجهها باليدين النقاب
وأنا أتقرّبُ بالضوء منها وأدني
الثقاب!

بغداد